

كيف ساهم الموحدون في ازدهار الحضارة المغربية؟

كتبه عائذ عميرة | 9 فبراير، 2018



عرفت المملكة **المغربية** خلال حكم دولة الموحدين ازدهارًا كبيرًا وتطورًا ملحوظًا مس جميع القطاعات في المملكة، نتيجة الأمن والاستقرار الذي ساد المنطقة خلال فترة حكمها، فقد اهتم حكامها بالفكر والثقافة كما شغفوا بالبناء العمراني، ولا تزال بعض مآثرهم الخلابة قائمة إلى يومنا هذا تشهد على عصرهم الذهبي.

الموحدون .. ازدهار عمراني كبير

تميز العصر الموحيدي بالمغرب الذي امتد من سنة 1121 إلى 1269 ميلاديًا، بفنه العمراني رائع الجمال، وقد شملت حركة البناء والتعمير تنوعًا وكثرة؛ فمن بناء المدن والمواني، إلى المنشآت العسكرية من حصون وقلاع وأسوار، إلى المنشآت العامة التي انتشرت في أنحاء البلاد مثل المساجد والمدارس والمستشفيات والحمامات والفنادق والقناطر وغير ذلك من المنشآت.

في بداية حكم عبد المؤمن بن علي كان الموحدون يجتنبون الغلو في الزخرفة، حيث اتسم فن البناء عندهم في تلك الفترة بالمتانة والخلو من الزخرفة سيرًا على مبدأ مؤسس الدولة **ابن تومرت** في التقشف والزهد في الدنيا، إلا أنهم ما لبثوا أن تشبعوا بالحضارة الأندلسية بعد أن فتحوا الأندلس، فطفقوا ينهلون من معين هذه الحضارة المتميزة واقتبسوا من جمال عمارتها وبدائع زخرفتها في أنبنتهم المختلفة، وتفننوا في ذلك.



مسجد “الكتيبة”

يقدم فرانسيسكو بيدال كاسترو في كتابه “الرابطون والموحدون في الأندلس والمغرب” وصفًا جامعيًا للفن المعماري الموحي بقوله: “وفيما يخص الفن المعماري الموحي فقد تميز باهتمامه بالبناء الشاهق وقلة الزخارف، ولكن دون المساس بتناسقه الإجمالي، خاصة فيما يتعلق بالهندسة المعمارية للمساجد، وعلى الرغم من أن هذا الفن تولى في الأخير عن بساطته الصارمة ليلجأ إلى استعمال الأشكال الزخرفية، فإن عظمة البناءات تبين في ذات الوقت قوة ومثانة الدولة الموحدية”.

ومن أروع ما خلده التاريخ للخليفة المنصور الموحي مسجد “الكتيبة” بمدينة مراكش، فقد حرص المنصور أن يكون المسجد في أبهى صورة وأروعها فجمع فيه الطراز الأندلسي والمغربي، ويتألف المسجد من حرم عريض قليلًا يفتح على صحن يعلو الحرم قبة في نهايته المجاورة للمحراب وثمة قباب في صدر الحرم، ويمتاز المسجد بضخامة برج المئذنة، وبعظمة الأساليب والأروقة وصفاء رسوم الأقواس وتجانس الصحن المركزي والصحن الجانبية في وحدة المربعات وقوة الخشب وتناسق الفسيفساء.

من أبرز المدن التي تم تشييدها خلال العهد الموحي مدينة “الرباط” أو “رباط الفاتح” التي بنيت عقب انتصار الخليفة المنصور في الأندلس

إلى جانب بناء المساجد اهتم الموحدون بتشييد المنارات، وتتشابه هذه المنارات في هيكلها حيث يصعد إليها بواسطة طريق مائل يدور حول قاعات مغطاة بالقبة، وتعتمد الزخرفة على الكتابة الكوفية والأشكال الهندسية كالأقواس أو الرسوم التي تحاكي الزهور والنخيل والصدف.

من أبرز المدن التي تم تشييدها خلال العهد الموحي مدينة "الرباط" أو "رباط الفاتح" التي بنيت عقب انتصار الخليفة المنصور في الأندلس، شيدت بحجارة المعابد الرومانية القديمة، وحملت المدينة في بنائها مساحة التجديد، إذ بنيت على هيئة مدينة الإسكندرية المصرية في الاتساع، وتؤكد هذه المدينة وما احتوته من بنية على عظم دولة الموحدين وحضارتهم الزاهرة.



سور الرباط

تذكر كتب التاريخ والمؤرخين أن الموحدين كانوا يستعملون في بنائهم مواد مختلفة كالحجر المنحوت الذي برز في "صومعة حسان"، والأجر مثلما يظهر جلياً في "برج الخالدة أو الخيرالدة"، والطوباء في "سور الرباط".

حياة علمية متطورة

فضلاً عن الاهتمام بالعمارة والتشييد، اهتم الموحدون أيضاً بالمجال الفكري والعلمي، فقد اعتنوا بالعلوم الإسلامية والفلسفية تفسيراً وحديثاً، وترسيخ المذهب المالكي بين الناس، والمحافظة على جوهر الدين بنشر أصوله العقلية والنقلية.

إلى جانب ذلك، اهتم الموحدون بالعلوم اللسانية خاصة اللغة العربية التي انتشرت في الدولة باعتبارها لغة البلاد الرسمية في المكاتب والمعاملات وشؤون الدولة، وكان لمجيء العلماء إلى المدن دور كبير في انتشار اللغة العربية وازدهارها، وكان أيضًا لقُدوم القبائل الهلالية إلى المغرب الإسلامي أثر كبير في دعم اللغة العربية وانتشارها لتمسك هذه القبائل البدوية باللسان العربي.

المدارس أيضًا كان لها شأن كبير لدى الموحيدين، ذلك أنهم اعتنوا ببنائها

اهتم الموحدون أيضًا بالتاريخ والجغرافيا، ومن أشهر المؤرخين في عهد الدولة الموحدية البيدق أبو بكر الصنهاجي من المغرب الأوسط، والمؤرخ والأديب أبو علي الذي ولد بتلمسان في عهد يوسف بن عبد المؤمن، له مختصر في التاريخ أسماه "نظم الآلي فتوح الأمر العالي"، ومن أشهر الرحالة بالمغرب الأوسط ابن فكون القسنطيني وهو أبو علي حسن بن علي رحل إلى مراكش ومدح الخليفة الموحي وكتب عن سفره من قسنطينة إلى مراكش.

اعتنى الموحدون أيضًا بالعلوم الفلكية والتنجيم والطب والصيدلة والرياضيات والفلسفة التي بلغت أوجها على يد ابن رشد وطلبته، ومن أشهر الكتب والمؤلفات الدراسية الرسالة لابن أبي رشد والمستصفي وإحياء علوم الدين للغزالي، ويرجع الفضل إلى الخليفة الموحي أبي يعقوب في نشر فلسفة أرسطو بين الناس وشرحها بعد أن كانت غامضة مندرجة، حسب عدد من المؤرخين.



ازدهار العلوم الهندسية في العصر الموحي

خلال فترة حكم الدولة الموحدية، انتشرت الكتابات، وهي أماكن المرحلة الأولى التي كان يتعلم فيها صبية المسلمين مبادئ القرآن الكريم والكتابة ويأخذون بعد ذلك في حفظ القرآن الكريم، ثم

يتعلمون بين جدرانها أولويات علوم الدين واللغة التي تهيئهم لتلقي العلوم بالمساجد.

كما انتشرت الرباطات التي كانت تعتبر من المعاهد العلمية والحرية المهمة بالمغرب، وكان عبد المؤمن أول من فرض على شعبه إجبارية ومجانية التعليم في المغرب، ورغم أن الأربطة نشأت في أول أمرها بالشرق في مطلع الدولة العباسية غير أن أربطة المغرب كانت أكثر نفعا، فإلى جانب مهمة الرباط الحرية فهي مكان للعبادة ومعهد تدرس به شتى العلوم.

المدارس أيضًا كان لها شأن كبير لدى الموحدين، ذلك أنهم اعتنوا ببنائها، حيث اقترن اسم الخليفة عبد المؤمن بن علي وحفيده يعقوب المنصور بكثير من المدارس المنشأة في عصرهم، منها ما أسسه عبد المؤمن بمراكش كالمدرسة الملحقه بقصره التي كانت تخرج الضباط والولاة، والمدرسة العامة لتعليم الأمراء الموحدين، ومنها المدرسة التي أنشأها بالرباط من أجل تعليم فن الملاحة والحرية.

رابط المقال : [/https://www.noonpost.com/21985](https://www.noonpost.com/21985)